دور الإمام عليّ (عليه السلام) في التأسيس للموعظة وأساليبها: دراسة تحليليّة في نهج البلاغة

Title: The Role of Imam Ali (PBUH) in Establishing the Foundations of Preaching and Its Methods: An Analytical Study in Nahj al-Balagha

م. م. زهراء حسين حسون الحسينيّ

وزارة العمل والشؤون الاجتماعية

Author: Asst. Lect. Zahraa Hussein Hassoun Al-Husseini

Ministry of Labour and Social Affairs

https://doi.org/10.64704/almubeen.2026012503

ملخص البحث

يُعدُّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) واحدًا من أبرز الشخصيّات في التاريخ الإسلاميّ؛ إذ يُمثل رمزًا للحكمة، والعدالة، والفصاحة. ويأتي "نهج البلاغة" بوصفه واحدًا من أعمق النصوص العربيّة وأجملها، ليجسّد رؤية الإمام (عليه السلام) تجاه القضايا الاجتماعيّة والدينيّة والسياسيّة. ومن بين مبادئه الأساسيّة، تبرز الموعظة بوصفها وسيلةً فعّالةً للتوجيه والإصلاح، تعكس روح الحكمة والنصيحة التي يسعى من خلالها إلى تعزيز القيم الإنسانيّة والإسلاميّة.

تُعتبر الموعظة فنًا إرشاديًّا عريقًا، يعتمد على أساليب متعدِّدة تهدف إلى تقويم سلوك الأفراد ومعاونتهم على اتّخاذ القرارات الصحيحة. وقد شهد هذا الفنُّ تطوّرًا مستمرًا على مرِّ العصور، إذ استلهمه العلماءُ والوعّاظ لتوجيه الناس في شؤونهم الروحيّة والدنيويّة. ولأنّ الإمامَ عليًّا (عليه السلام) يُمثّل النموذج الأسمى في هذا المضمار، فقد وصفه ابنُ أبي الحديد المعتزليّ قائلًا: (إنْ قيل جهادٌ وحرب فهو سيّد المجاهدين، وإنْ قيل وعظٌ وتذكيرٌ فهو أبلغ الواعظين والمذكّرين، وإن قيل فقهٌ وتفسير فهو رئيس الفقهاء والمفسّرين، وإنْ قيل عَدلٌ وتوحيد فهو إمامُ أهلِ العدل والموحّدين) (شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، مكتبة آية الله العظمى المرعشيّ النجفيّ، ج ٧، ص ٢٠٣).

فهو (عليه السلام) قدوة الواعظين، ونظرًا لمَا للموعظة من أهميّةٍ بالغة في حياة الإنسان -سواء على الصعيد الشخصيّ أو الاجتماعيّ- فإنّ الحاجةَ إليها تفوق الحاجةَ إلى الطعام والشراب؛ كونها من أهمّ أسباب سعادة الإنسان وتكامله في الدنيا والآخرة.

الكلمات المفتاحيّة: نهج البلاغة، الإمام عليّ (عليه السلام)، الموعظة، أساليب التوجيه، الإصلاح الاجتماعيّ، دراسة تحليليّة.

Abstract

Imam Ali ibn Abi Talib (PBUH) is regarded as one of the most prominent figures in Islamic history, representing a symbol of wisdom, justice, and eloquence. Nahj al-Balagha, which is considered one of the most profound and eloquent Arabic texts, embodies his vision regarding social, political, and religious issues. Among his fundamental principles, preaching occupies a central position as an effective means of guidance and reform. Preaching is an ancient form of moral guidance that relies on various methods aimed at shaping individual behavior and assisting individuals in making sound decisions. This art has undergone continuous development throughout the ages. Imam Ali (PBUH) stands as a model in this regard. As described by Ibn Abi al-Hadid: "If it is said of jihad and warfare, he is the master of the mujahidin; if it is said of preaching and admonition, he is the most eloquent of preachers and admonishers; if it is said of jurisprudence and exegetes; and if it is said of justice and monotheism, he is the Imam of the people of justice and monotheism." (Ibn Abi al-Hadid, Sharh Nahj al-Balagha, Imam Mar'ashi Najafi Library, vol. 7, p. 203).

Keywords: Nahj al-Balagha, Imam Ali (peace be upon him), Admonition, Guidance Methods, Social Reform, Analytical Study

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على المبعوث رحمة للعالمين محمد الصادق الأمين وآل بيته الطيبين الطاهرين، وبعد؛ فإنَّ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو أبرز الشخصيات في التاريخ الإسلامي، ويُعدُّ من معجزات النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وسلم، تمامًا كما كانت العصا لموسى (عليه السلام) وإحياء الموتى على يد عيسى (عليه السلام). فإنَّ إيمان علي (عليه السلام)، وما يتمتع به من بلاغة وفصاحة، يعدُّ دليلًا قاطعًا على أنَّ القرآن هو وحي إلهي، فهو قدوة في الفصاحة والبلاغة، ومثل أعلى للمعارف، حيث يُمثل رمزًا للحكمة والعدالة والفصاحة. فقد قيل في فصاحته: إنَّه "دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين"[1].

ونهج البلاغة الذي يُعدُّ من أعمق وأجمل النصوص العربية، هو كتاب إنساني وأكثر النصوص ديمومة بعد القرآن الكريم والسنة الشريفة، فنحن نحتاج إليه احتياج العطشان للماء؛ لأنَّه تجسيد حقيقي لرؤية الإمام حول القضايا الاجتماعية والدينية والسياسية. ومن بين مبادئه الأساسية، تتربع الموعظة كوسيلة فعّالة للتوجيه والإصلاح، إذ تعكس روح الحكمة والنصيحة التي يسعى عن طريقها إلى تعزيز القيم الإنسانية والإسلامية.

وتُعدُّ الموعظة فنًّا إرشاديًّا قديمًا، يعتمِدُ على أساليب متعددة تهدف إلى تعديل سلوك الأفراد ومساعدتهم في اتخاذ قرارات صحيحة. لقد شهد هذا الفن تطورًا مستمرًّا على مر

العصور، حيث استعمله العديد من العلماء والوعّاظ لتوجيه الناس في قضاياهم الروحية والدنيوية. ولأنَّ الإمام علي (عليه السلام) يُعدُّ مثالًا يُحتذى به في هذا السياق، فقد وصف ابن أبي الحديد الإمام علي (عليه السلام) حيث قال: "إنْ قيل جهاد وحرب فهو سيد المجاهدين، وإن قيل وعظ وتذكير فهو أبلغ الواعظين والمذكّرين، وإن قيل فقه وتفسير فهو رئيس الفقهاء والمفسرين، وإن قيل عدل وتوحيد فهو إمام أهل العدل والموحدين"[٢].

ومن غير العرب قال جيرارد اوبنز: "سيظل علي بن أبي طالب فارس الإسلام والنبيل الشهم"[٣].

فهو (عليه السلام) قدوة الواعظين، ولكون الموعظة لها أهمية كبيرة في حياة الإنسان سواء بالنسبة إليه أم بالنسبة إلى من حوله من أفراد المجتمع الذي يعيش فيه، فالحاجة إلى الموعظة تفوق الحاجة إلى الطعام والشراب، لأنَّها من أسباب سعادة الإنسان وتكامله في الدنيا والآخرة.

أهمية الموضوع

تُعد هذه الدراسة مُهمّة لتسليط الضوء على أهمية الموعظة في حياة المجتمع؛ إذ تُظهر كيفية توجيه الناس نحو القيم النبيلة في النصوص المؤثرة والكلمات القيّمة التي قدَّمها الإمام. كما تهدف الدراسة إلى تقديم إطار نظري وتطبيقي يمكن أن يُفيد الدعاة والواعظين في العصر الحديث، إذ تبقى الموعظة أحد الوسائل الأساسية لنشر الوعي وتعزيز القيم في المجتمعات. ومن ثَمَّ، فإنَّ فهم كيفية استثمار هذه الأداة بشكل فعال سيكون له أثر كبير في تعزيز

الأخلاق وتقوية الروابط الاجتماعية في ظل التحديات المعاصرة. كما أنَّ الموعظة من المواضيع المهمة التي تندرج تحت معنى الدعوة إلى الله تعالى، فهي أشرف الموضوعات وأعظمها؛ لأنَّ شرف الموضوع بشرف المعلوم، وأهمية الموضوع بحاجة الناس إليه، وما أحوجنا إلى الموعظة في وقتنا الحالي! لِمَا لها من آثار تربوية في تهذيب النفس الإنسانية، فالوعظ إصلاح للفرد والمجتمع، والموعظة تتعلّق بعالم الأخلاق الذي بعث الأنبياء وخاتمهم (صلى الله عليه وآله) من أجل إيصاله للناس، وهذا أهم أهداف دراسة البحث.

هدف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف دور الإمام علي (عليه السلام) في تأسيس فن الموعظة وأساليبه، عن طريق تحليل محتوى نهج البلاغة. تتضمّن هذه الدراسة فحصًا لتاريخ الموعظة وتأثيرها في هداية المجتمع، بدءًا من جذورها في الكتاب والسُّنّة، وصولًا إلى الجوانب العملية التي تظهر في سلوك الأفراد. كذلك ستتناول الأساليب المتنوعة التي استعملها الإمام، مثل الترهيب والترغيب والإرشاد، لتظهر فهمه العميق لأساليب التوجيه والإرشاد.

سبب اختيار العنوان

اُختير عنوان دور الإمام علي (عليه السلام) في فن الموعظة؛ لأنَّه يعكس الأهمية الكبيرة للإمام علي بوصفه عالمًا وهاديًا في نقل القيم الإسلامية عن طريق فن الموعظة. كما يُظهر العنوان ارتباط الموعظة بالفكر الإسلامي الأصيل ودوره في توجيه المجتمع نحو الخير والإصلاح،

ممَّا يعانيه في زمنٍ كثر فيه الانحراف والفساد حتى سار في طريق مظلم، فكان بحاجة إلى أشعة نور من قبس الإمامة، وهذا القبس العلوي المأخوذ من القرآن الكريم ومن السنة النبوية هو كلام وخطب أمير المؤمنين في نهج البلاغة. ويسلط العنوان الضوء على كيفية استعمال الإمام علي (عليه السلام) لهذه الأداة القوية في الخطابات والنصوص التاريخية لتعزيز السلوك الحسن وحاجته الدائمة لها في حياته الدنيوية والأخروية بما فيها إصلاح للفرد والمجتمع.

مشكلة البحث

تتناول مشكلة البحث كيفية تأثير أساليب الإمام علي (عليه السلام) في فن الموعظة على المجتمع، وكيف ساهمت هذه الأساليب في توجيه الأفراد نحو القيم والأخلاق الإسلامية. في ظل تحديات العصر الحديث، يبرز التساؤل حول مدى فعالية هذه الأساليب التقليدية في تعزيز القيم والحكمة في المجتمعات المعاصرة. وكذلك تتضمن مشكلة البحث كيفية استنباط الدروس والفوائد من نهج البلاغة وتطبيقها في الوعظ والدعوة اليوم.

فرضيات البحث

١. الفرضية الأولى: هناك تأثير إيجابي لأساليب الإمام علي (عليه السلام) في فن الموعظة على سلوك الأفراد في المجتمع، ممَّا يعزّز من القيم الأخلاقية والدينية.

٢. الفرضية الثانية: استعمال الإمام علي (عليه السلام) لمجموعة متنوعة من الأساليب (كالترغيب والترهيب والإرشاد) في الموعظة يُظهر قدرة

فريدة على التأثير في الجمهور وتحفيزه نحو التغيير الإيجابي.

٣. الفرضية الثالثة: يمكن استثمار أفكار الإمام علي (عليه السلام) والمبادئ المستقاة من نهج البلاغة لتطوير أساليب جديدة في الوعظ تعكس التحديات المعاصرة وتعزز من القيم الإنسانية والإسلامية.

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج التحليلي للنصوص الشريفة من الآيات القرآنية والأحاديث وبخاصة المقتبسة من نهج البلاغة. وانطلق البحث بالتمهيد الذي تناول كتاب نهج البلاغة ونسبته إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، وتناول المبحث الأول الموعظة وتاريخها وآثارها في هداية المجتمع، أمَّا المبحث الثاني، فقد تناول أساليب الموعظة عند الإمام علي (عليه السلام)، وفيه ثلاثة مطالب: الأول أسلوب الترهيب، والمطلب الثاني أسلوب الترغيب، والمطلب الثالث أسلوب الارشاد، وفي نهاية البحث تم سرد أهم النتائج وخاتمة البحث.

وقد اقتبس البحث من مصادر عديدة منها شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، والبيان والتبين، وكنز الفوائد، وتاريخ الطبري، ومروج الذهب، والبداية والنهاية، وبالتأكيد أهمها وأشرفها وأبلغها القرآن الكريم، وعدد من الموسوعات؛ منها موسوعة التفسير الموضوعي، وموسوعة الأخلاق والسلوك، وبحار الأنوار، وصحيح مسلم، والخصال، وغيرها من المصادر، والحمد لله أولًا وآخرًا، والصلاة والسلام على معلم الخلق

ومرشدهم، وعلى آله الهداة الميامين.

التمهيد

في التعريف بنهج البلاغة وبمن جمعه

أولًا: التعريف بنهج البلاغة

نهج البلاغة هو مجموعة خطب ومواعظ جُمِعَت من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولهذه الخطب والمواعظ جاذبية كبيرة لدى الناس جعلتهم يتعاطفون ويتفاعلون مع هذا السِّفر الخالد لما لهُ من حلاوة وعذوبة.

فهو إرث الصالحين من البيان الذي فيه تتحوّل الأفكار إلى سمفونية وأنغام، وتتحوّل الأنغام إلى أفكار، ويلتقي العقل والقلب والعاطفة والفكرة؛ إذ تراها أمام كائن حي ينبض بالحياة، ويزهو بالحركة ويجيب السائل ويكشف المبهم، وتلك هي آية الإعجاز في البيان، ففيه نبرة الثورة والجهاد للنفس وترويضها، وجهاد الأعراف والتقاليد الجاهلية، فهو علاج لما نعانيه في عصرنا الحاضر[٤].

وأساس هذه الجاذبية لهذا الكتاب العظيم كونه كلامَ أمير البلاغة والفصاحة والبيان (عليه السلام)، فهو خريج مدرسة القرآن، بل هو القرآن الناطق، وهو أديب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد ربَّاه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «يَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَيَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِنَبِيٍّ»[٥]. وهذه المجموعة من الخطب والرسائل والتفاسير والروايات المنسوبة إلى الإمام علي (عليه السلام) قد جمعها الشريف الرضي، وهو أحد علماء الشيعة في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)[٦].

ويطرح هنا تساؤل مهم: لماذا سمى الشريف الرضي هذا الكتاب بنهج البلاغة؟ وللإجابة عن ذلك يجب أن نعرف أنَّ هذا النتاج الجليل تصدّى لجمعه وتبويبه الشريف الرضي في عصر ازدهرت فيه الحضارة الإسلامية والعربية، وظهر فيه أشهر النوابغ في مختلف العلوم الإنسانية والأدبية، وقد صرح الشريف الرضي في مقدمة النهج بأنَّه استجاب لرغبة الأصدقاء والإخوان في تأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) فأجبتهم إلى ذلك، فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والأدب[٧].

وتميّز الرضي فيها بأنَّه كان محدّثًا ومحقّقًا وأديبًا وشاعرًا، وهو صاحب المؤلّفات التي بلغت ثماني عشرة مؤلّفًا، وقد بلغ بعضها عشرة أجزاء، وأهمها: مجاز القرآن ومجاز الحديث ونهج البلاغة، وهذا الثلاثي الرائع الذي ألّفه من كلام الله تعالى وكلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكلام الإمام علي (عليه السلام).

وكان مثار إعجاب العلماء والأدباء، ولكن نهج البلاغة كان الأشهر والأفضل والأكثر تداولًا، لذلك نال من الشروح والتعليق قديمًا وحديثًا ما لم ينله غيره من بقية البشرية حتى قاربت المئتين من الشروح إلى يومنا هذا، لذا نهج البلاغة الأكثر تداولًا والأشهر والأفضل، لذا كانت التسمية نابعة من هذه الأجواء وموضحة لعمق بلاغة أمير المؤمنين (عليه السلام) في كونه إمام البلاغة والبيان ومؤسس

منهجها العذب والمؤثر "ولعل شهرة الشريف الرضي جاءت بسبب جمعه لهذا الكتاب"[٨]. وكان موضع اهتمام المسلمين وغيرهم من العلماء والأدباء والمحدّثين.

ثانيًا: أوَّل من جمع خطب الإمام علي (عليه السلام):

قد يتوهم بعضهم في أنَّ أوَّل من جمع نهج البلاغة هو الشريف الرضي إلّا أنَّ العلّامة المحقق الشيخ آغا بزرك الطهراني أثبت ما يخالف ذلك؛ إذ قال: "فأول من جمع الخطب هو زيد بن وهب الجهني الذي شهد صفين"[٩]، وذكر جملة منها: اللؤلؤة، الافتخار، الدرة اليتيمة، الأقاليم، الوسيلة... السلمانية، الناطقة، الدامغة، وغيرها ممَّا لا يوجد في نهج البلاغة.

فنحن حرمنا من الكثير من الخطب والكتب للإمام علي (عليه السلام) بسبب حرق مجاميع كبيرة من كتب الشيعة، ويُسجّل الشكر الكبير للشريف الرضي لجمع كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأنَّ كتاب نهج البلاغة لِمَا له أهمية لقد اشتقت منه الكثير من الكتب من الشرح والترجمة، والاقتصار على الحاشية لجميعه أو بعض أجزاء من خطبه.

وكانت مكتبة دار الحكمة في بغداد تحتوي على عشرة آلاف نسخة خطية، وآلاف الكتب الأخرى، ولقد عرف القرن الذي فيه بقرن التأليف والترجمة وتدوين الكتب الإسلامية[١٠]. وقد شهد نشوء الحوزات العلمية الكبيرة ونشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) في الأقطار الإسلامية.

لقد استعان الشريف الرضي في جمع كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) بالكتب الكثيرة التي كانت في متناول يده آنذاك، فقد كانت بغداد في ذلك الوقت تزخر بالمكتبات العامة والخاصة والفريدة التي تضم كتبًا كثيرة، ومن جملة تلك المكتبات مكتبة أخيه السيد المرتضى علم الهدى (رحمه الله)، التي كانت تشتمل على ثمانين ألف مجلّدًا. والسيد الرضي لم يذكر الخطب بكاملها، بل لم يذكر من كل خطبة إلّا القليل المختار منها، ولم يذكرها بالكامل، فلو لم يجمع الشريف الرضي ما اختاره من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) لكنّا محرومين منه اليوم بكل تأكيد.

قام السيد الرضي بتصنيف كتابه النهج على وفق الفنون النثرية بدلًا من الموضوعات؛ إذ بدأ بالخطب ثم الرسائل ثم الحكم. وكان بالإمكان إضافة أنواع أخرى من فنون النثر مثل الدعاء والخاطرة والزيارة والمحاورة والمقالة وغيرها، لكنَّه أدرجها ضمن الأبواب الموجودة وفقًا لمقياسه الجمالي والبلاغي، مع التركيز على الأكثر ملاءمة لهدفه. وقد لاحظت أنَّ أقواله (عليه السلام) تدور حول ثلاثة محاور رئيسة هي:

١. الخطب والأوامر.

٢. الكتب والرسائل.

٣. الحكم والمواعظ.

وبناءً على طريقته، يتم تقديم المحتوى بشكل تدريجي ومجزّء؛ إذ يختار مقاطع من خطب ويمزج بعضها، أو قد يقسم الخطبة الواحدة إلى فصول عدّة، ممَّا يجعله ينتهج أسلوب الانتقاء من الخطب بشكل متنوع[١١].

يبدو أنَّ في تصنيف السيد الرضي لكتابه النهج براعة ودقة في تنظيم الأفكار، حيث يلتقط روح الخطب والأوامر والحكم، ممَّا يعكس ذكاءه في تقديم المعرفة بطريقة فنية وجمالية. وأنَّ تقسيمه للأقوال إلى محاور رئيسة يُسهّل على القارئ التنقّل ويعزّز فهم الرسائل العميقة. وأنَّ انتقاءه للمقاطع ودمجها بأسلوب فني يضيف بُعدًا جديدًا للنص، ممَّا يجعله ليس مجرد كتاب، بل تجربة تعلّمية غنية، فهو دعوة لاستكشاف جمال البلاغة والعمق الفكري في كل سطر.

المبحث الأول

الموعظة وتأريخها وأثرها في هداية المجتمع

المطلب الأول: الموعظة في القرآن الكريم

من الجدير بالذكر أنَّ القرآن الكريم هو كتاب الله المنزل على رسوله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد تناول الكثير من المواقف والإرشاد للمسلمين كافة، والموعظة بالقرآن الكريم تقوم بطاعة الأوامر واجتناب النواهي التي حذّر الله منها، وقد وردت الموعظة في الكثير من الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ (١٢)(١٣). ولو أنَّهم استمعوا إلى نصائح النبي ومواعظه، لكانت تلك خطوة إيجابية في مصلحتهم، ولساهمت في تعزيز أُسس إيمانهم. ومن اللافت أنَّ القرآن في هذه الآية يستعمل مصطلح الموعظة للإشارة إلى الأحكام والأوامر الإلهية، ممَّا يدلُّ على أنَّ هذه الأحكام ليست لمصلحة المشرّع أي الله تعالى أو لتحقيق نفع له، بل هي في الحقيقة توجيهات ونصائح مفيدة

لهم، ولذلك يعبّر عنها بوضوح في قوله تعالى ﴿يَعِظُكُمُ اللهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾[١٤][١٥] أي إنَّ من علامات الإيمان أن لا يتوجّه الإنسان نحو الذنوب العظام، وإذا ارتكبها فذلك يدل على عدم إيمانه أو ضعفه، وهذه أحد أركان التوبة بالندم على الماضي، ولا يكفي وحده بل يجب التصميم على عدم تكرار ارتكاب الذنوب في المستقبل، لتكون توبة كاملة وقولًا صادرًا عن الله العليم الحكيم لبيان الحقائق ذات الأثر الفعال في مصير الإنسان.

المطلب الثاني: ثمرة الموعظة

من أهم ثمرات الموعظة هي إصلاح النفس أولًا ثم إصلاح المجتمع ثانيًا، إذ إنَّ النفس إذا صلحت انعكس هذا الإصلاح على سلوك الإنسان وبه تذهب كثير من المظاهر السيئة عن الحياة الاجتماعية وينتج منها السعادة المنشودة في النظم الاجتماعية والسياسية. وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا الصدد أقوالًا كثيرة، منها: «الْمَوَاعِظُ حَيَاةُ الْقُلُوبِ»[١٦]. وفي وصيته لابنه وهو يعظه: «أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ»[١٧].

إنَّ ثمرة الموعظة عند أمير المؤمنين (عليه السلام) هي تعزيز الإيمان بالله تعالى وتحقيق السلام الداخلي والخارجي، أو كما قال السيد الشهيد محمد باقر الصدر في كتابه الإسلام يقود الحياة: التحرير الداخلي والخارجي[١٨].

المطلب الثالث: شرائط الواعظ

يجب أن يتصف ويتحلّى الواعظ بعدد من الصفات للتصدي لمنصب الوعظ والإرشاد، ومن تلك

الشرائط والآداب هي:

١- القول الحسن والرفق في القول، كما قال تعالى لموسى (عليه السلام): ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[١٩]، وكما قال تعالى لنبيه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[٢٠]، فاستجاب الرسول لذلك (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما شهد له أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: «فَبَالَغَ (صلى الله عليه وآله) فِي النَّصِيحَةِ وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ»[٢١].

حيث يبيّن أمير المؤمنين (عليه السلام) النصيحة الصادقة التي تخرج من القلب لتدخل إلى قلب المتلقي، حيث الصدق والاستقامة، وهكذا هو أمير المؤمنين (عليه السلام)، فأثّر فيمن حوله الذين عرفوه وأدركوا ما يقول، من أمثال همام بن عبادة بن خيثم[٢٢]، شهيد خطبة المتقين، والذي قال فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) حين صعق ومات بعد سماعه الخطبة: «هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوْعِظَةُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا»[٢٣].

٢- الاتعاظ: وكيف يعظ غيره من لا يتعظ، ولذا كان قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَاللهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا»[٢٤]. وكان (عليه السلام) يأمر اتباع المتعظ من الناس والاستماع إليه، لكثرة الدغل والخرج الذي ابتُليت به الأمة آن ذاك، وكان يقول (عليه السلام): «كَيْفَ يَنْصَحُ غَيْرَهُ مَنْ يَغُشُّ نَفْسَهُ»[٢٥]. حيث يعكس

هذا القول صور الحكمة البالغة في مطابقة الشخص أفعاله لأقواله.

٣- أن يكون قدوة للمجتمع، ويدعو بفعله قبل قوله: «إِنَّ الْوَعْظَ الَّذِي لَا يَمَجُّهُ سَمْعٌ وَ لَا يَعْدِلُهُ نَفْعٌ مَا سَكَتَ عَنْهُ لِسَانُ الْقَوْلِ وَ نَطَقَ بِهِ لِسَانُ الْفِعْلِ»[٢٦]. وذلك يعني ترجمة الأقوال إلى أفعال كما ترجمها أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولذا كانت مهمة ملقاة على عاتق الأنبياء بالدرجة الأولى والأوصياء (عليهم السلام)، لينذر الناس بقولهم وفعلهم، كما قال الإمام علي (عليه السلام) في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ»[٢٧]. وقال (عليه السلام): «فَصَدَعَ بِالْحَقِّ؛ وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ، وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ»[٢٨].

وكما قال (عليه السلام): عن نفسه الشريفة: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ بِهَا الأَنْبِيَاءُ أُمَمَهُمْ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الأوصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ»[٢٩].

ويبدو أنَّ هذه دعوة ملهمة لنستمع بعقولنا وقلوبنا إلى تراث الأنبياء، حيث يعكس هذا القول الدور الرائع للوعظ في توجيه المجتمعات نحو الخير والصلاح. عندما يستحضر الإمام معاني المواعظ التي تلقّاها من الأنبياء، يشير إلى أنَّ هذا الإرث الروحي هو السبيل نحو النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

وكذلك يحكي عن الأمانة الكبيرة التي تحملها الأنبياء والأوصياء، ممَّا يحثّنا على التمسّك بقيمهم السامية والسير على خطاهم في مسيرة التغيير والإصلاح.

فلنجعل من هذه الكلمات مفتاحًا لفتح قلوبنا لاستقبال الحكمة، ولنستخدم مواعظهم كنبراس يضيء لنا الطريق في حياتنا. إنَّ الوعي الإيماني هو الحماية والوقاية، وهو ينير لنا الطريق الصحيح في زمن تتقاذف فيه الأمواج والتحديات.

المطلب الرابع: موانع قبول الموعظة

إنَّ لقبول الموعظة أسبابًا وعللًا، وكذلك فإنَّ لعدم قبول الموعظة ورفضها أسبابًا وعللًا، وقد شخّص ذلك الإمام علي (عليه السلام) على النحو الآتي:

١- حبُّ الدنيا: حيث قال (عليه السلام) في وصف البغاة وسبب بغيهم: «فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَقَسَطَ آخَرُونَ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا...»[٣٠]. إنَّ قول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يمثل واقعًا مؤلمًا؛ حيث يعكس خيبة الأمل التي يشعر بها القائد الرسالي عندما يشاهد انقسام الأمة واختلاف مواقف الناس. هذه الكلمات تظهر التحديات التي تواجه القادة المخلصين في سعيهم نحو الحق، إذ تتجلّى صعوبة تحقيق الوحدة والتغيير في نكث بعضهم ومرور آخرين كأن لم يسمعوا. ويمكن أن نَعُدَّ هذا القول دعوة للتأمل والوعي. فالتاريخ يوضح أنَّ الفتن والانقسامات لا تعيق مسيرة الحق، بل تظهر أهمية الأمانة والتضحية في بناء مجتمعٍ قوي قادر على مواجهة التحديات. لذا، لا بُدَّ من العمل معًا على تجاوز هذه العقبات، ونتمسك بمبادئ الحق والعدل، لنحقق مستقبلًا أفضل يتسم بالتعاون والوحدة. وقوله: «مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا في عَيْنِهِ، وَكَبُرَ

مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ، آثَرَهَا عَلَى اللهِ، فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا، وَصَارَ عَبْداً لَهَا»[٣١].

٢- الغفلة عن الموت: فقد تبع (عليه السلام) جنازة، فسمع رجلًا يضحك، فقال (عليه السلام): «كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ وَكَأَنَّ الَّذِي نَرَى مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفْرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ وَنَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ (كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ) نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَوَاعِظَةٍ وَرُمِينَا بِكُلِّ جَائِحَةٍ»[٣٢].

٣- التمرّد والعناد: «اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً، أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً، أَوْ بَخِيلاً اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللهِ وَفْراً، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْراً!»[٣٣].

٤- القلب المنكوس: «فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفاً وَلَمْ يُنْكِرْ مُنْكَراً، قُلِبَ فَجُعِلَ أَعْلاَهُ أَسْفَلَهُ، وَأَسَفَلُهُ أَعْلاَهُ»[٣٤]. وقال (عليه السلام): «وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ وَخَافُوا عَذَابَ الحَرِيقِ، وَلَكِنِ الْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ وَالْأَبْصَارُ مَدْخُولَةٌ»[٣٥].

وهكذا قلبٌ يأبى ويرفض قبول الموعظة وينفر منها، هذا ما قد كان عليه حال الدولة الإسلامية في زمن أمير المؤمنين (عليه السلام) بسبب ابتعاد الأُمَّة عن هدي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وما أمره بالتمسك به، فكان يقول (عليه السلام): شاكيًا من تخاذلهم: «اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَدَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَجَهْراً

فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا... وَأَعِظُكُمْ بِالمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا»[٣٦].

ونتيجة ترك الموعظة هو توريث الندامة والحسرة والخسران في الدارين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[٣٧].

إنَّ الإخلال بالموعظة يسبّب تراجع الوعي وتباعد القلوب؛ ممَّا يسهم في انتشار الفساد والضياع في المجتمعات. لذا، فإنَّ التوجيه والإرشاد يمثلان الطريق نحو بناء مجتمع متماسك قادر على مواجهة التحديات وتحقيق الصالح العام.

المطلب الخامس: أنماط الموعظة

قد يتصوّر الإنسان في البداية أنَّ الموعظة أمر يخص الجانب الأخلاقي فقط، كالزهد في الدنيا والتزوّد للآخرة وما شاكل ذلك؛ ولكن لو نظرت إلى الموعظة نظرة شمولية لرأيت إمكانية تعميمها على مختلف جوانب حياة الإنسان، فتصبح شاملة للجانب السياسي والعقائدي والاجتماعي، وغيرها من الجوانب.

وتتوسع أكثر، إذ يمكننا تقسيم أنماط الموعظة إلى عقائدية وأخلاقية وسياسية واجتماعية؛ لأنَّ هذه الجوانب أهم ما يدور حولها الإنسان في حياته وسلوكه اليومي، والنصيحة والموعظة فيها تعد المؤشر المطمئن لسلوك الطريق الصحيح والوصول إلى السعادة التي هي الهدف الأساس والعمود الفقري للمواعظ والنصائح.

اولًا: المواعظ العقائدية:

العقائد تنقسم إلى الإلهيَّات ومباحث النبوة والإمامة والمعاد، فالمواعظ فيها تتمحور حول تصحيح الثغرات والأخطاء التي تقع في طريق الفهم الصحيح لهذه المفردات وإعطاء خطوط عامة وضوابط لتبين السلوك الصحيح فقط، ففي مبحث الإلهيات نكتفي بقوله (عليه السلام): «**ولا تُقَدِّر عَظَمَةَ اللهِ سُبحانَهُ عَلى قَدرِ عَقلِكَ فَتَكونَ مِنَ الهالِكينَ**»(٣٨). وهذا الكلام يعطي ضابطة عامة لطريقة فهم التوحيد الصحيح بعيدًا عن التشبيه والتعطيل، فهو (عليه السلام) يقول من جهة: «**لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهًا، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلًا**»(٣٩). فينفي التشبيه، ويقول من جهة أخرى: «**لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَىٰ تَحْدِيدِ صِفَتِهِ، وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ**»(٤٠). فينفي التعطيل، وينفي الشرك، فيقول: «**أَمَّا وَصِيَّةُ اللهِ فَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا**»(٤١).

أمَّا في مبحث النبوّة والإمامة، فيقول في طيَّات كلامه ومواعظه أنَّ الله لم يخلق الخلق عبثًا، بل أرسل إليهم الأنبياء لهدايتهم، فكان يقول (عليه السلام): «**وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا**»(٤٢).

يعكس هذا القول لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) أهمية الوعي والهدف من حياة الإنسان، حيث يذكّرنا أنَّ وجودنا ليس عبثيًّا، وأنَّ لكل فرد غاية ومعنى خاصين به. يتطلب هذا الفهم السعي نحو الأعمال الصالحة والاجتهاد لتحقيق الأهداف السامية، ممَّا يعزّز المسؤولية

على كل من الفرد والمجتمع. إنَّ التأكيد على أنَّنا لسنا مجرد هملٍ يحمّلنا مسؤولية العمل على تطوير أنفسنا والسعي إلى تحقيق الخير في حياتنا، والحصول على السعادة الأبدية، وهي أن يرتقي الإنسان من أفق البهيمية إلى أفق الملائكية.

ثانيًا: المواعظ الأخلاقية:

هي الأساس في هذا الباب، وقد تنوّعت مواعظ الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة بحيث يتمكّن الإنسان أن يتعظ ويعتبر بكل شيء، وفيما يلي نشير إلى أهم ما ورد في نهج البلاغة، ومنها:

أ- الإسلام؛ إذ إنَّ الدِّينَ الإسلامي فيه تعاليم شمولية للدنيا والآخرة، وفي حق القرآن الكريم قال (عليه السلام): «**وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ**»[٤٣]. وهنا يظهر الأمير (عليه السلام) مكانة القرآن الكريم كدليل دائم وموثوق. فالقرآن هو الناصح الأمين والمرشد الذي يوجّهنا بصدق دون خيانة، وهو النور الذي يضيء دروبنا في أوقات الشك والضياع. وفي آياته توجد حكمة شاملة للدنيا والآخرة، فلنفتح قلوبنا وعقولنا لنستقبل هذا الهدي الإلهي، ونجعل القرآن رفيقنا في مسيرتنا نحو الحق.

إنَّ القرآن الكريم ورسالة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هما كالكُتيب المرفق مع الجهاز؛ حيث إنَّ الصانع يعرف تفاصيل صنعته واحتياجاتها أفضل من أي شخص آخر. لذا، فإنَّ التوجيهات والمبادئ والقيم الموجودة فيهما تعد مرجعية مهمة لفهم الحياة وتحقيق النجاح

وفقًا لما أراده الخالق سبحانه.

ب- الدنيا؛ والمتصفح لنهج البلاغة يرى أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قد بالغ بالتزهيد في الدنيا وبيان حقيقة حالها، وأنَّها دارُ ممرٍّ لا مقرّ، وهي: «دَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا»(٤٤)؛ إذ أوعز إلى أهمية التفكير في تجارب الحياة الدنيا. ودعا إلى التأمّل في كل ما نلاقيه من تحدّيات، حيث تمثل كل تجربة فرصة لاستخلاص الدروس وتحصيل النمو الروحي. فلنجعل من كل موقف درسًا يقرّبنا من الحكمة والوعي.

ج- الموت؛ هو من المواعظ المهمة التي تطرّق اليها الإمام حيث قال (عليه السلام): «أَلاَ فَاذْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَّاتِ، وَمُنَغِّصَ الشَّهَوَاتِ»(٤٥).

ثالثًا: المواعظ السياسية:

تتَّضح مواعظ أمير المؤمنين (عليه السلام) السياسية في كتبه ورسائل إلى أمرائه وجنوده، ولاسيّما عهده إلى مالك الأشتر؛ إذ يحتوي على الكثير من المواعظ والنصائح السياسية، وكان اهتمامه بهذا الجانب كثيرًا، لِمَا حلَّ بالأمة الإسلاميّة آنذاك من هنات نتيجة سوء فعل المتقدّمين. ومن أهم ما أكّد عليه في مواعظه ونصحه لأمرائه وقادته العدل في السيرة: «فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ وَوُكَلَاءُ الْأُمَّةِ وَسُفَرَاءُ الْأَئِمَّةِ وَلَا تُحْشِمُوا أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ وَلَا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ»(٤٦).

ومنها المواساة: فقد كتب لمحمد بن أبي بكر لمَّا ولاه مصر: «فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي

حَيْفِكَ لَهُمْ وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ»[٤٧]. ومنها الاعتماد على أهل الطاعة، فقد كتب إلى عماله: «وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ، فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ»[٤٨].

تظهر كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) أهمية التمييز بين الأشخاص الفاعلين وغير الفاعلين، حيث يُظهر بذكاء أن نجاح العمل الجماعي يعتمد على وجود أفراد يتمتعون بالعزيمة والإرادة. في المقابل، يرتبط البقاء مع المتقاعسين بتراجع الإبداع وعجز الإنجاز. تعكس هذه الرؤية التفاؤل والشغف، إذ إنَّ النجاح لا يقوم فقط على وجود الأفراد، بل يتطلّب تواصلهم وحماسهم للعمل معًا نحو تحقيق هدف مشترك.

رابعًا: المواعظ الاجتماعية:

تطرَّق إليها الإمام (عليه السلام)، وتدور حول إصلاح الوضع الاجتماعي الذي لا بُدَّ منه لنهضة أبناء الشعب لأنفسهم، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال (عليه السلام): «وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ؛ فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي»[٤٩].

ويبدو أنَّ قول أمير المؤمنين (عليه السلام) يعكس أهمية الدور الإيجابي الذي يجب أن يقوم به المجتمع في مواجهة السلوكيات السلبية، حيث يعزز مفهوم المسؤولية الجماعية، ويحث الأفراد على التفاعل والمشاركة في تغيير المنكرات. إنَّ الفرق بين النهي والتناهي يُظهر ضرورة تضامن المجتمع في العمل نحو قيم الفضيلة وتحقيق التغيير الإيجابي.

المبحث الثاني

أساليب الموعظة عند الإمام علي (عليه السلام)

المطلب الأول: أسلوب الترهيب

لقد سعى الإمام علي (عليه السلام) بكل ما أوتي من جهدٍ على أن يعظ ويهدي الأمة الإسلامية التي كانت قريبة عهد بالشرك والعصبية القبلية. ولاقى في ذلك الطريق الأمَرّين حيث كان الناس في وادٍ وكان هو والثلة الطيبة من صحبه المخلصين القلائل في وادٍ آخر. وهذه نماذج من ترهيب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة:

أوّلًا: تهديد المعاندين وبيان جرمهم:

إنَّ قريش الأمس - من وجهة نظر الإمام علي (عليه السلام) - هي قريش اليوم، لم تتغير إلّا من حيث المظهر الخارجي، فالحَمِيَّة الجاهلية ما زالت مستكنّة في نفوسهم، لم يهذّبها الإسلام. ولهذا يقول الإمام علي (عليه السلام) لأخيه عقيل الذي أخبره بتسلل قريش من المدينة إلى معاوية تهافتًا على المادة: «**فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي - كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله قَبْلِي... وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ**»(٥٠).

هذا ما يتضح من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الأحداث التي سوف يقوم بها القوم بعدما عاهدوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الطاعة والولاء وأخلفوا من بعده.

ثانيًا: في من أفرط في حبّ الشهوات:

فقد ورد عن الإمام علي (عليه السلام) قوله: «**الْفِتَنُ ثَلَاثٌ: حُبُّ**

النِّسَاءِ وَهُوَ سَيْفُ الشَّيْطَانِ، وَشُرْبُ الْخَمْرِ وَهُوَ فَخُّ الشَّيْطَانِ، وَحُبُّ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَهُوَ سَهْمُ الشَّيْطَانِ»[٥١].

فيجب على المؤمن أن يكون معتدلًا في كل شيء وألّا يفرّط في حبِّ الدنيا وينسى الآخرة، فإنَّ الآخرة هي دار البقاء.

المطلب الثاني: أسلوب الترغيب

أوّلًا: شجرة طوبي طريقك إلى الجنة والخلود:

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «طُوبَى شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ أَصْلُهَا فِي دَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَيْسَ مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَفِي دَارِهِ غُصْنٌ مِنْهَا، لَا تَخْطُرُ عَلَى قَلْبِهِ شَهْوَةُ شَيْءٍ إِلَّا أَتَاهُ بِهِ ذَلِكَ الْغُصْنُ، وَلَوْ أَنَّ رَاكِبًا مُجِدًّا سَارَ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ مَا خَرَجَ مِنْهَا، وَلَوْ طَارَ مِنْ أَسْفَلِهَا غُرَابٌ مَا بَلَغَ أَعْلَاهَا حَتَّى يَسْقُطَ هَرَمًا، أَلَا فَفِي هَذَا فَارْغَبُوا»[٥٢].

ثانيًا: أبواب الرحمة شفاعة أمير المؤمنين (عليه السلام) لأحبابه في الجنة

قال الإمام علي (عليه السلام): «إِنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ: بَابٌ يَدْخُلُ مِنْهُ النَّبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ، وَبَابٌ يَدْخُلُ مِنْهُ الشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ، وَخَمْسَةُ أَبْوَابٍ يَدْخُلُ مِنْهَا شِيعَتُنَا وَمُحِبُّونَا، فَلَا أَزَالُ وَاقِفاً عَلَى الصِّرَاطِ أَدْعُو وَأَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ شِيعَتِي وَمُحِبِّيَّ وَأَنْصَارِي وَمَنْ تَوَلَّانِي فِي دَارِ الدُّنْيَا. فَإِذَا النِّدَاءُ مِنْ بُطْنَانِ الْعَرْشِ: قَدِ اجِيبَتْ دَعْوَتُكَ، وَشُفِّعْتَ فِي شِيعَتِكَ، وَيَشْفَعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ شِيعَتِي وَمَنْ تَوَلَّانِي

وَنَصَرَنِي وَحَارَبَ مَنْ حَارَبَنِي بِفِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ فِي سَبْعِينَ أَلْفاً مِنْ جِيرَانِهِ وَأَقْرِبَائِهِ، وَبَابٌ يَدْخُلُ مِنْهُ سَائِرُ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنْ بُغْضِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ»(٥٣).

ويتضح أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) يتبنّى أساليب تحفيزية، حيث كان يذكر الناس بالثواب والرحمة الإلهية، ويؤكد ضرورة التمسك بالأخلاق الحميدة. كما كان يشجع على التأمّل في آيات الله، ممَّا يعكس عمق معرفته الروحية والسياسية.

المطلب الثالث: أسلوب الإرشاد

أولًا: الإصلاح الداخلي مفتاح التوازن بين العلاقة مع الله تعالى والعلاقات الاجتماعية.

قال (عليه السلام): «مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ أَصْلَحَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ»(٥٤).

إنَّ قول أمير المؤمنين (عليه السلام) يسلط الضوء على أهمية الإصلاح الداخلي بين الإنسان وربِّه، حيث إنَّ الإخلاص في العبادة يعزّز العلاقات مع الآخرين. كما يشير إلى أنَّ السعي نحو صلاح الآخرة يقود إلى النجاح في الحياة الدنيا، وينبّه إلى ضرورة الوعي الذاتي كخطوة لتحقيق تحسين السلوكيات.

ثانيًا: ثمرات الأفعال دروس من قول الإمام علي (عليه السلام) في عواقب الأعمال

قال الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: «لِكُلِّ امْرِئٍ عَاقِبَةٌ حُلْوَةٌ أَوْ مُرَّةٌ»(٥٥).

ويبدو أنَّ أفعالنا هي ما نزرعه في هذه الحياة الدنيا، فكلُّ عملٍ له نتيجة، سواء كانت إيجابية تجلب لنا الفائدة، أو سلبية تعلّمنا دروسًا، لذا يجب علينا أن نحرص على زراعة الخير لنحصد ثمار السعادة غدًا.

ثالثًا: إصلاح القلب سبيلُ راحة الحياة

ورد في نهج البلاغة: «مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ عَلَانِيَتَهُ، وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ، أَحْسَنَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ»(٥٦).

إنَّ نقاء النية يُعَدُّ من أهم أسباب السعادة والسلام الداخلي، ومن يخلص في عمله لدينه سيجد مساعدة الله في جميع جوانب حياته. لذلك، يجب علينا أن نسعى لتحسين علاقتنا بالله تعالى؛ لننال الطمأنينة في تعاملاتنا مع الآخرين.

الخاتمة والنتائج

وصلنا الآن إلى نهاية بحثنا المختصر عن دور الإمام علي (عليه السلام) في تأسيس الموعظة وأساليبها في نهج البلاغة، ذلك الكتاب الذي يضم الكثير من الدرر من كلام الإمام علي (عليه السلام) وخطبه ورسائله، وكيف لا يكون كذلك، وهو أمير البيان والناطق بالقرآن.

حيث تطرق البحث إلى دور الموعظة في التأريخ، وكيف استخدمت الأديان الموعظة لنقل القيم والتوجيه، وكيف تطوّرت الموعظة، وكيف تؤثر في القضايا الاجتماعية والسياسية، وكيف تؤثر في توجيه الناس نحو السلوك الصالح والقيم الإيجابية.

ثم بيان مجموعة من أساليب الموعظة، وهي الترهيب ودوره في

خلق الخوف من العقاب، والترغيب ودوره في الحصول على الثواب، وكذلك الإرشاد والتحذير من كل شر، وكل ما يصلح الفرد والمجتمع عبر الإرشاد، على لسان أمير المؤمنين (عليه السلام).

ويمكن القول إنَّ من أهم المشاكل التي واجهت الباحث عند كتابة البحث هو الخوف من الكتابة عن شخصية الإمام علي (عليه السلام)، فإنَّه الشمس في نوره وعطائه، ولا يمكن لنا مهما حاولنا أن نتلمس من عظمته وعلمه وحكمته إلّا الشيء القليل، كقطرة من بحر، فلقد كان يعظ النفوس ويخاطب الأرواح ويهدي الأفراد والشعوب والمجتمعات، ويحاول دائمًا إيقاظ الأُمَّة من السبات.

أهم النتائج التي توصل إليها البحث

إثبات أنَّ شخصية الإمام علي (عليه السلام) غنية بألوان المعارف الإنسانية، فالإمام لم يكن شخصية دينية فحسب، بل كان قائدًا فذًّا ومربيًا ومعلّمًا للإنسانية بشكل يعجز عنه اللسان والبيان.

١- لقد ثبت أن كتاب نهج البلاغة هو رشحة من رشحات الإمام علي (عليه السلام)، ولا يمكن لهذا النور أن ينسب إلى غيره مطلقًا.

٢- لقد كان هاجس الإمام علي (عليه السلام) أن يهدي النفوس والأرواح، ويعيد الناس إلى جادة الحق والصواب، فاتخذ المواعظ مركبًا لإيصالهم إلى ذلك الهدف.

٣- الرجوع إلى طاعة الله تعالى، فهو الواعظ الأول لعباده ثم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم الأئمة من بعده ثم العلماء لكي نحظى بسعادة الدنيا والآخرة.

٤- إنَّ كلَّ ما وصلنا إليه من مصائب وتخلّف هو خذلان الأُمَّة من عدم الاستماع إلى الوعظ من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أولًا، ثمَّ الإمام علي (عليه السلام) من بعده في كل مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والعقائدية والأخلاقية.

٥- إنَّ في كل عصر يوجد من يعظ الآخرين، ويكون قدوة لهم، وهو إمام زمانهم الذي يكون مصدرًا للوعظ والإرشاد، ويجب اتباعه، وفي زماننا الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه)، وقول إمام زماننا الحجة ابن الحسن (عج): «وَلَوْ أَنَّ أَشْيَاعَنَا وَفَّقَهُمُ اللهُ لِطَاعَتِهِ عَلَى اجْتِمَاعٍ مِنَ الْقُلُوبِ فِي الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ عَلَيْهِمْ لَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمُ الْيُمْنُ بِلِقَائِنَا وَلَتَعَجَّلَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ بِمُشَاهَدَتِنَا»[٥٧]، فهو حجّة علينا وموعظة بالغة لخلاصنا.

وفي الختام أتمنى أن تسنح الفرصة لي ولكل الباحثين والمهتمين بجواهر تراث وكنوز أمير المؤمنين (عليه السلام) بتحويل أقواله إلى مناهج عملية للحياة والتبليغ والعمل الرسالي للتمهيد لحفيده الموعود (عجل الله فرجه الشريف)، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الهوامش

١- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٤.

٢- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي (ره)، ج ٧، ص ٢٠٣.

٣- أجمل وأروع ما قاله علماء الغرب والمسلمين عن أمير المؤمنين الإمام علي: https://iraq.shafaqna.com/AR/6223/

٤- ينظر: دراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين، الدار الإسلامية، ط ١، ص ١٢.

٥- نهج البلاغة، مطبعة الاستقامة بمصر شرح محمّد عبده، ج ٢، ص ١٨٢.

٦- هو أبو الحسن السيد محمد بن موسى الموسوي الهاشمي القرشي بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم، ويلقّب بالشريف الرضي (٣٥٩- ٤٠٦ هـ)، وهو شاعر وفقيه، ولد في بغداد وتوفي فيها، وعمل نقيبًا للطالبين حتى وفاته، وهو الذي جمع كتاب نهج البلاغة، وهو مفخرة العترة، وقد جمع مع شرف النسب النبوي شرف الحلم والعلم والأدب، وهذا ما تتباهى به العصور، وهو أبدع أبناءِ زمانه، وأنجب سادة العراق. ينظر: طبقات أعلام الشيعة، آغا بزرك الطهراني، ص ١٦٤.

٧- دراسات في نهج البلاغة، ص ٢٣.

٨- يتيمة الدهر في محاسن العصر، الثعالبي، مفيد محمد قميحة، ج ٣، ص ١٥٥.

٩- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، العلّامة المحقق الطهراني، ج٧، ص ١٩٢.

١٠- المصدر السابق.

١١- مصادر نهج البلاغة، الشيخ عبد الله نعمة، مطابع دار الهدى. ص ٥٦.

١٢- سورة النساء: ٦٦.

١٣- تفسير الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ج ٣، ص ٤٧٨.

١٤- سورة النور: ١٧.

١٥- ينظر: تفسير الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ج٣، ص ٣١١.

١٦- غرر الحكم: ٣٢١، ١٣٥٤، ٤١٩١، ٤٥٨٨، ٩٨٨٤.

١٧- نهج البلاغة: الكتاب ٣١.

١٨- ينظر: الإسلام يقود الحياة المدرسة الإسلامية، رسالتنا السيد الشهيد محمد باقر الصدر، إعداد وتقديم لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، ط١، ١٤٢١، ص ٣٤.

١٩- سورة طه: ٢٤.

٢٠- سورة النحل: ١٢٥.

٢١- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، خطبة: ٩٤، ج ٧، ص ٦٦.

٢٢- ابن أبي الحديد المعتزلي قال: إنَّه "همام بن شريح بن يزيد بن مرة كان من شيعة أمير المؤمنين (عليه السّلام)، وأوليائه، وكان ناسكًا عابدًا" شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٠١٣٤. وفي البحار: "كان عابدًا ناسكًا مجتهدًا من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السّلام) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ط مؤسسة الوفاء، ج ٦٧، ص ٣٦٥. سأله عن صفات المتقين المؤمنين، فلمّا وصفهم أمير المؤمنين (عليه السّلام) صعق صعقة ومات فيها، فقال: هكذا تفعل المواعظ بأهلها، أما والله لقد كنت أخافها عليه، وأمر به، فجّهزه، وصلّى عليه". واللافت للنظر لا يوجد لهمام سيرة خاصة غير ذكره في هذه الخطبة.

٢٣- كنز الفوائد، أبو الفتح الكراجكي، ت ٤٤٩هـ، ج ١، ص ٣٣.

٢٤- نهج البلاغة، ج ٢، ص ٩٠.

٢٥- تصنيف غرر الحكم للآمدي: ٤٥٦٣.

٢٦- المصدر نفسه: ٤٥٦٠.

٢٧- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، خطبة: ١٦١، ج٢، ص ٦١.

٢٨- المصدر نفسه، خطبة: ١٩٥، ج١٣، ص ١٩٨.

٢٩- المصدر نفسه، خطبة: ١٨٢، ج ١٠، ص ٩٩.

٣٠- شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة، ج ١، ص ١٧٠.

٣١- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، خطبة: ١٦٠، ج ٩، ص ٢٢١.

٣٢- المصدر نفسه، ج ١٨، ص ٣١١.

٣٣- المصدر نفسه، ج ٨، ص ٢٤٤.

٣٤- المصدر نفسه، ج ١٩، ص ٣١٢.

٣٥- المصدر نفسه، خطبة: ١٨٥، ج ٢، ص ١١٦.

٣٦- المصدر السابق، خطبة: ٩٦، ج ١، ص ٣٣٥.

٣٧- سورة يونس: ٧- ٨.

٣٨- نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، ج ١، ص ١٦٢.

٣٩- المصدر نفسه، خطبة: ١٥٥، ج ١، ص ١٥٩.

٤٠- المصدر نفسه، خطبة: ٤٩، ج ٣، ص ٢١٦.

٤١- المصدر نفسه، خطبة: ١٩٥، ج٢، ص ١٦٨.

٤٢- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ١٧٠.

٤٣- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، الخطبة ١٧٦، ج ٣، ص ٢٥١٧.

٤٤- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٨، ص ٣٢٥.

٤٥- نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، ج ١، ص ١٩٢. نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، ج ١، ص ١٩٢.

٤٦- شرح نهج البلاغة، الكتاب ٥١، ج ١٧، ص ١٩.

٤٧- شرح نهج البلاغة، الكتاب ٢٧، ج ١٥، ١٧، ص ١٦٣.

٤٨- بحار الأنوار، المجلسي، ج ٣٢، ص ٦٧.

٤٩- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٧، ص ١٦٧.

٥٠- نهج البلاغة: خطبة ١٦.

٥١- الخصال، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ١١٣.

٥٢- الخصال: الصدوق، ج ٢، ص ٤٨٣.

٥٣- الخصال: باب الثمانية، ح ٦.

٥٤- نهج البلاغة: ج ٢، ص ١٦١.

٥٥- المصدر نفسه: ج ٢، ص ١٨٣.

٥٦- المصدر نفسه: ج ٢، ص ٢٤٥.

٥٧- بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥٣، ص ١٧٧.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الإسلام يقود الحياة المدرسة الإسلامية، رسالتنا السيد الشهيد محمد باقر الصدر، إعداد وتقديم لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، ط ١، ١٤٢١.

٢- شرح نهج البلاغة، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائن، دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري.

٣- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، الطبعة الثانية (١٩٦٧ م- ١٣٨٧ هـ) جميع الحقوق محفوظة منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم- إيران ١٤٠٤ هـ.

٤- أجمل وأروع ما قاله علماء الغرب والمسلمين عن أمير المؤمنين الإمام علي: https / /:iraq.shafaqna.com /AR /6223 /

٥- دراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين، الدار الإسلامية، الطبعة الأولى. د. ت.

٦- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ) المحقق، د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣ م.

٧- الخصال، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي، المشهور بالشيخ الصدوق (المتوفى ٣٨١ هـ)، محقق/ مصحح: غفارى، على أكبر.

٨- طبقات أعلام الشيعة، محمد محسن بن علي بن محمد رضا الطهراني النجفي (١٢٩٣ هـ- ١٣٨٩ هـ) والمشتهر بآغا بزرگ الطهراني.

٩- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، محمد محسن بن علي بن محمد رضا الطهراني النجفي (١٢٩٣ هـ- ١٣٨٩ هـ) هو رجل دين وفقيه ومؤرِّخ شيعي إيراني إلَّا أنَّ

الاسم المعروف والمشتهر به هو آغا بزرگ الطهراني.

١٠- مصادر نهج البلاغة، شيخ عبد الله نعمة، مطابع دار الهدى.

١١- الأَمْثَلُ في تفسير كتابِ الله المُنزَل، العلاّمة الفقيه المفسّر آية اللهّ العظمى الشَّيخ نَاصِر مَكارم الشيرازي، معاصر.

١٢- كنز الفوائد، أبو الفتح الكراجكي، (المتوفى ٤٤٩) الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٣٦٩ ش.

١٣- تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، (المتوفى ٥٥٠ ق) المحقق/ المصحح: درايتى، مصطفى، مكتب الإعلام الإسلامي، مكان النشر: إيران؛ قم، سنة الطبع: ١٣٦٦ ش.

١٤- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، الوفاة: معاصر، تحقيق: دار الحديث، الطبعة: الأولى.